

الفكر القومي في كسوع

والقومية في البطريركية:

أتى الأستاذ ساطع الحمصى يوم السبت المحاضرة الخامسة حلقة محاضراته بالجمعية الجغرافية الملكية ، فتحدث عن سوء الفكرة القومية في البلاد العربية حتى الحرب العالمية

قال الأستاذ إن البلاد العربية كانت خاضعة للدولة العثمانية وها دولة إسلامية ، وكانت تنظر إليها على أنها حلقة في سلسلة حج الإسلام ، وقد سيطرت الدولة على هذه البلاد بتفليها على د والحكام ، ولم تقاومها الشعوب ، باستثناء اليمن لاعتمادها دية التي ترى أن يكون الخليفة من آل البيت ومن نسل زيد .

دعوه ، وما لأجله وجد - أى من حيث فاعله ، ومن غاية وجوده ، وعلل الوجود الأربعة هي إذن قيمان : علنا ، وعلنا الوجود ، الأوليان منها هما : الملة المادية Cause Matér والملة الصورية Cause Formelle وعلنا الوجود ملة الفاعلة أو ملة الفاعلية Cause Efficace والملة الثانية Cause Fi - الأوليان جزء من الشيء لأنهما الشيء : (المادة) والشيء بالفعل (الصورة) . والأخيرتين ليستا منه بل هما فاعله (أو موضوعه بالقوة) ، وغايته (أى بالفعل) ، ولما كانت الملتان الأولى والثالثة سالبتين ية والرابعة موجبتين .

والفرق بين هاتين الماهيتين وعلل الوجود يتبين في الفرق بين : الشيء في ذاته ووجوده في الأعيان ؛ الأولى تلزم الشيء في ذاته في الخارج وفي العقل ، ومقومات هذه الماهية هي والنوع والفصل ... مما يدخل في باب المنطق ، أما الأخرى إليها الشيء في كونه موجوداً كفاعل والغاية . وإن سينا من هذا الفصل للدراسة هذه الأخيرة ، بعد إذ فرغ من في المنطق . مما سنتابعه فيه في المقال التالي .

كمال رسوني

وكان المسلمون ينضون تحت لواء الدولة متجهين إليها سياسياً ودينياً ، على خلاف المسيحيين العرب الذين كانت لهم هيئات دينية منفصلة عن الدولة ، وكانوا يمجدون الفكرة العربية منفصلة عن الدين ؛ وكان هؤلاء المسيحيون ثلاث طوائف : الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت ، وكان على المناسبات الدينية بالكنائس الأرثوذكسية الشرقية رجال الدين من اليونان ، وكانوا يفرضون اللغة اليونانية في الصلاة وغيرها من شئون الدين ؛ وكذلك كان الرومان واللغة اللاتينية في الكنائس الكاثوليكية الشرقية ، وتحدث الأستاذ عن جهود العرب المسيحيين في مقاومة اليونانية واللاتينية في البيئات الدينية حتى استبدلوا بهما اللغة العربية ؛ أما البروتستانت فكانوا من الأمريكيين الذين تعلموا اللغة وعملوا على نشر مذهبهم في البلاد العربية بلغتها ، وأنشأت الطوائف الثلاث مدارس كانت تهتم باللغة العربية وتعلم بها ، على حين كانت مدارس الحكومة تعلم بالتركية ولا تلقى العربية من عنايتها إلا قليلاً .

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نشأت تيارات فكرية مختلفة ، فالمسيحيون وبعض المستعربين من المسلمين كانوا يدعون إلى انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية وكان فريق كبير من المسلمين يعمل على جعل الخلافة عربية ، ودعا فريق آخر إلى الإصلاح والاشتراك مع العثمانيين في إدارة دفة الأمور . ثم أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، فشارك الأمم العربية الأتراك في السرور بانتهاء حكم الاستبداد ، وأجبه شعور الجميع نحو التكتل ونسيان الخلافات ؛ ولكن ذلك لم يدم طويلاً لأنه كان من نتيجة الحرية بعد إعلان الدستور أن امتدت الأقلام إلى تناول بعض الشخصيات التي كانت مشتركة في الحكم الاستبدادي فكان هذا إلى عوامل أخرى بينها الأستاذ سببا في الانقسام بين العرب والأتراك ، واستمر هذا النزاع إلى أن عقد مؤتمر العرب بباريس وكان من مطالبه جعل التعليم باللغة العربية وإشراك العرب في مناصب الحكم ، وحدث في أثناء انعقاد هذا المؤتمر أن اتصل به رجل تركي ، وأمكن الوصول إلى اتفاق تحققت به بعض المطالب العربية وفي جلستها جعل التعليم في بعض المدارس باللغة العربية . على أن هذا الاتفاق لم يقض على المنازعات نهائياً ، بل ظلت قائمة حتى نشبت الحرب العالمية الأولى .

ولا شك أنك - وقد علمت كيف تم « إخراج » هذه الأغنية - قد تحولت دهشتك إلى العجب من هذا الصنيع والسؤال عن الحكمة في هذا التحوير والتبديل ؛ أليس هناك غير شعر شوقي ؟ لقد قاضت قرأح الشعراء ليلة ميلاد الملك ، وما زالت القرأح تفيض مستمدة من معين حبه ، أفأكان ينبغي بعض شعرهم عن هذا الموقف المنجمل أمام التاريخ ؟ وبعد فنحن أمام طريقة جديدة أصدق ما توصف به أنها عبث أدبي فني . وما كان يليق أن يقيم ذلك في هذه المناسبة السامية .

الخطابة في مهرجانه الشباب :

دعت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف يوم الثلاثاء لفيقا من الصحفيين والأدباء إلى حفل أقامته بإدارة خدمة الشباب لاختبار المتقدمين إلى مباراة الخطابة ، وهي إحدى مباريات المهرجان الأدبي والفني الذي تنظمه الإدارة لمناسبة عيد الميلاد الملكي .

انتهدت لجنة التحكيم ، وهي مكونة من الأستاذ العقاد والأستاذ توفيق دياب والأستاذ توفيق الحكيم والدكتور إبراهيم ناجي والدكتور محمد صلاح الدين ، وقبل أن تبدأ في الاختبار وقف الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك المدير العام للثقافة بوزارة المعارف ، وألقى كلمة تحدث فيها عن قلق الشباب وحيرته وعما يدل عليه هذا القلق من الحيوية والاستعداد ، وجوب استقلاله في التوجيه والإرشاد . وقال إننا نريد بهذا المهرجان وغيره أن نكشف مواهب الشباب لنشجعها وننمّيها ، وأشار إلى ما تترجمه الإدارة من إنشاء نوادي صيفية للشباب تتوافر فيها الوسائل المختلفة لتنمية المواهب الأدبية والفنية وغير ذلك مما يستغل فيه وقت الفراغ استغلالاً نافعا .

وتسبحم الأستاذ توفيق دياب فقال إنه يلاحظ أن الحياة الثقافية عندنا تنقصها الروح والشعب بالفكرة ، وأنها غائلة الأم الكبيرة في ضخامة الأبنية ونخامة المظاهر فقط دون أن يكون لدينا شعور قوي برسالة توثيقها ، رسالة حاضرة يؤدّيها الأستاذ ، ورسالة المستقبل يستمد لها الطالب .

وقال الدكتور إبراهيم ناجي إنه وصل من دراسته النفسية لشبابنا أنهم ممسبون بمراضين نفسيين : الأول تصيد الأمور وعدم فهم حقائق الأشياء ، فكثيرون منهم يتصدون لقرض الشعر وكتابة القصة مثلاً ، دون أن يعرفوا ما هو الشعر ، ودون أن

وكان الأستاذ قد ذكر السامعين في بدء المحاضرة بما دل عليه تتبع نشوء القوميات في البلاد الأوربية من أن القومية كائن حي روحه اللغة ووعيه التاريخ ؛ ويبدو أن الخيط الذي يربط هذه المحاضرة بتلك النظرية هو جهود المسيحيين العرب في مقاومة طغيان اللغات الأجنبية ونسكهم بالدرية ، ثم اهتمام العرب جميعاً باللغة الدرية في حركاتهم ومطالبهم السياسية . والمتوقع أن الفكرة ستكون أكثر وضوحاً أو ستصل إلى نتیجتها في المحاضرة القادمة وهي « نشوء الفكرة القومية في البلاد العربية منذ الحرب العالمية الأولى حتى تكون جامعة الدول العربية » .

عبث أدبي فني :

الملك بين يديك في إقباله عوذت ملكك بالنبي وآله حر ، وأنت الحر في تاريخه سمح ، وأنت السمح في إقباله يفديك نصرانيه بصليبه يؤلّتمنى لمحمد بهلاله يجدون دوائك التي سمعوا بها من رحمة المولى ومن أفضاله ياجنة الوادي ونزهة روحه ونعيم مهجته وراحة باله فاروق جلها وزان بساطها غرش بلوذ الشعب تحت ظلاله وكان عيدك عيدها لنا مشى فيها البشير يبشره وجماله هذه هي الأغنية التي غنتها أم كلثوم ثلاث مرات في يوم عيد ميلاد جلالة الفاروق . وقدمها المذيع بقوله : « عيد الدهر ، من شعر أحمد شوقي بك وغناء أم كلثوم » ولا شك أن المستمعين دهشوا ... فما عيد الدهر ؟ وما خطب شوقي ؟ وما غناء ذلك في الميلاد الملكي ؟ .

أنشأ شوقي قصيدة « عيد الدهر » منذ قرابة أربعين عاماً ، مدح بها الخليفة العثماني محمد رشاد الخامس ، وأشاد فيها بمدينة الآستانة . وقد أخذت من هذه القصيدة الأبيات السابقة التي غنتها أم كلثوم ، وابست كل هذه الأبيات من تلك القصيدة ، ففيها بيت وربع بيت من نظم غير شوقي ، وبيان هذا كما يلي : أخذ من القصيدة أربعة أبيات بنصها ، ثم قصد إلى بيت في القصيدة يعبر فيه الشاعر عن ولوعه بالآستانة ، وهو :

في كل عام أنت نزهة روحه ونعيم مهجته وراحة باله تحذف قوله : « في كل عام أنت » ووضع مكانه : « ياجنة الوادي » وجاء بعد هذه « العملية » بيت « من الخارج » ثم ختمت الأغنية بيت من أصل القصيدة وهو : « وكان عيدك الخ » .

بينه وبين وزير الشؤون الإسلامية في الوزارة الفرنسية الجديدة؛ وقد تناول هذا الحديث موضوعاً اتجهت إليه أخيراً الإدارة الثقافية بالجامعة العربية، وهو أن يشمل التعاون الثقافي العربي البلاد المغربية. سأل الراسل الوزير الفرنسي: هل للجامعة العربية أن تحصل على موافقة فرنسا إذا عرضت عليها إرسال مندوبين فرنسيين وجزائريين ومراكشيين إلى القاهرة لتمثيل هذه البلاد في اللجنة الثقافية للجامعة العربية كما وافق فرانكو على إرسال مندوب عن مراكش الإسبانية في هذه اللجنة؟ فقال الوزير الفرنسي في إجابته: «أحب أن أقول لك إنه إذا ثبت قطعاً أن هذه اللجنة تعمل في نطاق ثقافي وروحي فقط فليس مستحيلاً أن تنفذ وزارة الشؤون الإعلامية اقتراحك هذا».

ومن المحقق أنه لن يثبت قطعاً ولا من غير قطع أن لجنة الثقافة بالجامعة العربية تعمل في النطاق الثقافي الروحي الذي تريده فرنسا كما أنه من المحقق أن الشعوب المغلوبة على أمرها لا يمكن أن تفصل بين الثقافة والسياسة إلا على أيدي الماثلين لغاليلها، والثقافة التي لا تبث شعور الحرية وتغذيه إنما هي ثقافة العبيد. وإذا فلن توافق فرنسا على إرسال مندوبين يمثلون البلاد المكتوبة بها في تنظيم التعاون الثقافي العربي. وإذا فرض أنه ثبت قطعاً.. الخ، فإذا تفعل فرنسا؟ نقول: ليس مستحيلاً أن تنفذ الاقتراح!

ومن الغريب مع هذا أن ينوء ذلك الوزير في حديثه بالملاقات الثقافية بين فرنسا ومصر، فيشير بتبادل المحاضرين بين البلدين... إلى آخر هذا الكلام المعروف المحلول.

ومعنى كل ذلك أن فرنسا تريد أن توطد علاقاتها الثقافية بمصر التي تجمعها بالغرب فكرة الوطن العربي الأكبر، وتعمل في الوقت نفسه على توطيد استثمارها للغرب بقطع صلتها بالثقافة الطليقة في المشرق، ولهذا أنشأت «وزارة الشؤون الإسلامية» التي تقابل عند الإنجليز «وزارة المستعمرات البريطانية» مع فرق واحد هو انعدام الحياء في التسمية الفرنسية!

وبعد فانظر إلى تسمية هذه الوزارة، وأصف إليها ما انطوت عليه إجابة وزيرها، وخذ أيضاً تقطيع العلاقة الثقافية بين بلاد متحدة في الثقافة والدعوة أو الدعاية لتوطيدها مع جزء من هذه البلاد — ثم انظر ماذا نصنع بكلمة «الرقاعة» إن لم نضعها هنا.

العباسي

يقفوا على دقائق فن القصة. والمرض الثاني هو عدم وجود الأهداف أو تمدها، فإما أن لا يكون لهم هدف، أو يريد الواحد منهم أن يكون كل شيء.

ثم شرعت اللجنة في عملها، فأبلغت المتبارين موضوع الخطابة وهو هذا البيت:

من يسهل الهوان عليه ما لجرح بعيت لإسلام ووزعت الدرجات على النواحي الثلاث التي يقدر فيها الخطيب وهي التفكير والأداء والتأثير. ثم تعاقب الخطباء من الشباب وكان الزمن المعين لكل منهم عشر دقائق. وكانوا خمسة عشر شاباً، بينهم فتاة واحدة، هي الآنسة عزيزة توفيق (واخمسها بالتسمية لأن الرجل لم ينل بعد المساواة بالمرأة!) ولا أريد أن أتعرض للحكم عليها أو على غيرها من المتبارين، فالأمر للمحكمين وحدهم، أو هو — كما يقول زملاؤنا الصحفيون — بين يدي القضاء... ولكن لا أرى بأساً في بعض الملاحظات العامة

١ — المفروض أن الخطيب إنما يخطب جمهوراً في أمر يهمهم أو قضية تشغل بالهم، فيعالج المسألة معالجة خطابية، ليؤثر فيهم ويوجههم إلى ما يريد، وطبعاً لا يكون ذلك حقيقة في الممارسة بل يتمثله فيها الخطيب، فهل يقع في الحياة أن جمهوراً يشغل باله موضوع حكمة عامة وينتهي لأن يخطبه أحد فيها؟

٢ — لذلك لاحظت أن أكثر الخطباء اتخذ القضية العربية والقضية المصرية موضوعاً لتطبيق هذه الحكمة وقصر كلامه عليها، على ما في ذلك من بعد عما تصدق عليه وهو الأفراد، أما الأمم فكثير منها يهون ولكن لا يسهل الهوان عليه، لأنه يتحفظ ويتحين الفرصة أنيل حريته.

٣ — انتهز أحد الخطباء الفرصة ووجه الكلام إلى المحكمين باعتبارهم من قادة الفكر، وقال لهم: دعونا من هذه المسابقة، ماذا فعلتم لعزة البلاد ودفع الهوان عنها؟ وهكذا قلب الوضع فأراد أن يتمتع المتحدين.. ولكنها فورة الشباب..

هذا وسيختار من هؤلاء المتبارين في الخطابة أربعة يمثلون جوائز، ويبقى الفائز الأول خطبة في المهرجان العام الذي سيقام في يوم ٢٧ فبراير الحالي.

رقاعة فرنسية:

بعث إلى «العصرى» مراسلها من باريس، بمحدث جرى